

تفسير ابن كثير

لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها حجج أ و براهيمه على فرعون وملئه وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون لم يبق لهم إلا العذاب والنكال فأمر أ تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل ليلا من مصر وأن يمضي بهم حيث يؤمر ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه D خرج بهم بعد ما استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا وكان خروجه بهم فيما ذكره غير واحد من المفسرين وقت طلوع القمر وذكر مجاهد C أنه كشف القمر تلك الليلة فأ أعلم وأن موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه فاحتمل تابوته معهم ويقال : إنه هو الذي حمله بنفسه عليهما السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحملوه معهم .

وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم C فقال : حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد أ بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي إسحاق عن ابن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى قال : [نزل رسول أ صلى أ عليه وسلّم بأعرابي فأكرمه فقال له رسول أ صلى أ عليه وسلّم تعاهدنا ؟ فأتاه الأعرابي فقال له رسول أ صلى أ عليه وسلّم ما حاجتك ؟ قال : ناقة برجلها وأعنز يحتلبها أهلي فقال أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ؟ فقال له أصحابه : وما عجوز بني إسرائيل يا رسول أ ؟ قال إن موسى عليه السلام لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق فقال لبني إسرائيل : ما هذا ؟ فقال له علماء بني إسرائيل : نحن نحدثك أن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من أ أن لا نخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا فقال لهم موسى : فأيكم يدري أين قبر يوسف ؟ قالوا : ما يعلمه إلا عجوز لبني إسرائيل فأرسل إليها فقال لها : دليني على قبر يوسف فقالت : وأ لا أفعل حتى تعطيني حكمي فقال لها : وما حكمك ؟ قالت : حكمي أن أكون معك في الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك فقليل له : أعطها حكمها - قال - فانطلقت معهم إلى بحيرة - مستنقع ماء - فقالت لهم : انصبوا هذا الماء فلما أنصبوه قالت : احفروا فلما حفروا استخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار] وهذا حديث غريب جدا والأقرب أنه موقوف وأ أعلم فلما أصبحوا وليس في ناديتهم داع ولا مجيب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل لما يريد أ به من الدمار فأرسل سريعا في بلاده حاشرين أي من يحشر الجند ويجمعه كالنقباء والحجاب ونادى فيهم { إن هؤلاء } يعني بني إسرائيل { لشردمة قليلون } أي لطائفة قليلة { وإنهم لنا لغائطون } أي كل وقت يصل منهم إلينا ما يغيطننا { وإننا لجميع حاذرون } أي نحن كل وقت نحذر من غائلتهم وإنني أريد أن أستأصل

شأفتهم وأبىد خضراءهم فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم قال الله تعالى : { فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم } أي فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا { كذلك وأورثناها بني إسرائيل } كما قال تعالى : { وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها } الآية وقال تعالى : { ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين } الآية